وقد أصبحنا مطبوعين على النظر إلى البعيد دون النظر إلى القريب

نعم إننا ننظر حولنا إلى عظيم فى الشعر من طراز شكسبير فلا نرى له ندا بين الشعراء المعاصرين . ولكن النوابغ من طراز شكسبير تتساوى فيهم جميع العصور ولا يستأثر بهم القرن الذى نبغوا فيه ، وهكذا كان أبناء القرن السادس عشر خلقاء أن يبحثوا فى زمانهم عمن يضارعون نوابغ القرن العشرين فى العلم والاختراع والموسيقى والفن كافة فلا يجدوا بينهم أنداداً لهم يضارعونهم كثرة وقيمة ؛ وإن العصر الحديث مع هذا ليفهم قصائد شكسبير خيراً مما فهمها معاصروه ، ويقدره خيراً مما قدروه ، ويمثل رواياته أكثر وأجمل وأبرع وأكفل بالإقبال والاعجاب مما كانوا يمثلونها فى حياته

أذكر أنى رأيت منذ سنوات فى إحدى الصحف الانجليزية صوراً لبعض العظماء الغابرين فى أزياء العصر الحديث ، شفعتها الصحيفة بهذا السؤال : هل تعرفهم ؟

وحق للصحيفة أن تسأل سؤالها الآن . لأن الصور التى رأيناها لأولئك العظماء قد سلبتهم كثيراً من الهيبة وبددت ماحولهم من هالات الفوارق والمسافات التى يوحيها اختلاف المظاهر والأزياء .

وإن حاجتنا اليوم لشديدة إلى متحف يستعرض لنا عظماء الأمس فى أزياء اليوم ، وعظماء اليوم فى أزياء الأمس ، لنعرف مقدار مانضيفه إلى الغابرين من هيبة الفوارق والمسافات ومقدار مانسلبه المعاصرين من جراء الألفة والمقاربة

فان تعذر علينا أن نرسم ذلك المتحف عيانا فلنرسمه بالظن والتقدير . ولنرجع إذن إلى مقاييسنا وموازيننا نلمس مواضع الزيادة والنقصان فيها ، ونصلح جوانب الغلو والبخس فى كفاتها ، ونغنم تصحيح الميزان فى الحكم على الرجال والأزمان ، لأن هذا التصحيح غنيمة أنفس وأجدى من تفضيل نابغ على نابغ أو ترجيح جانب على جانب . إذ لاضرر ولا قصور فى اختلاف التفضيل والترجيح متى صحت النظرة واستقام القياس . تلك هى الحقيقة فيما يقال عن ندرة البطولة والنبوغ بيننا كما أراها

أما تواتر القول بندرتها بين جماعة من الناقدين منهم أناس فضلاء محبون للانصاف فلها أسباب فدنعود إلى تفصيلها ومناقشتها

عباس محمود العقاد

الزمن

للأستاذ إبراهيم عبد القادر المازنى

حدث مرة أنى سافرت فجأة إلى أوربا من غير أن يعرف أحد من أهلى وأصحابى — عزمت على ذلك وأمضيت العزم فكانت هذه الرحلة التى لم تكن لى فى حساب قبل يومين اثنين . وأسباب ذلك كثيرة يطول شرحها . وركبنا الباخرة فما كان يمكن أن أذهب إلى أوربا سابحا ، ومضى يوم وثان وإذا بفتاة ممن عرفناهن على ظهر السفينة مقبلة على تقول :

« هل ضبطت الساعة ؟ »

ونظرت إلى ساعتها الصغيرة على معصمها ثم رفعتها إلى أذنها فقلت : « دعى هذا لى فإنى حاد السمع مرهفه . . هاتى يدك واسمعينى »

قالت : « يظهر أنك لا تسمع إلا ما تريد . . لقد سألتك الآن هل أصلحت ساعتك ؟ »

فقلت وأنا أتعجب : « أصلحتها ؟ . . ومن الذى قال إن ساعتى خربت ؟ . إنى أؤكد لك أنها من أحسن الساعات . . كانت لرجل ممن يكثر المال فى أيديهم يوما فيذهبون يشترون كل ما يخطر لهم على البال ، ويصبحون فى اليوم الثانى وقد صفرت أكفهم فيرهنون ما اشتروا أمس أو يبيعونه . . صاحب هذه الساعة شاء أن يرهنها ، ثم لم يؤد ما اقترض عليها ، فاضطر الصائغ اليهودى أن يبيعها . . ولا أحتاج أن أقول إنك ترين الرجل الفاضل الذى اشتراها منه »

فألقت إلى ابتسامة عذبة أدارت رأسى دورة جديدة — وأقول الحق إنها هى التى كانت سبب سفرى إلى أوربا فجأة — وقالت : « لا شك أنها ساعة معرقة فى الفخار . . ولكنها تحتاج الآن إلى إصلاح »

فقلت ببساطة : « أبدا . . »

فقالت : « أسرع . . رد العقربين »

فدهشت وقلت : « أردهما ؟ . . لماذا ؟ . . »

قالت : « نعم ... ردهما ... أخرهما ساعة ... لو كنا فى الشتاء لوجب أن تؤخرهما ساعتين »

قلت : « اسمعى ... لو أمرتى أن أرتد طفلا ، وكان هذا فى وسعى ، لفعلت بلا تردد ، وبلاشرط سوى أن ترتدى معى طفلة لنلعب معاً ... ونكبر معا ... ونعوض على العموم مافاتنا — مافاتنى أنا على الأصح — ليس عليك إلا أن تأمرى فإذا الذى تشائين كائن — ولكن من المجانين الذين يحبون أن يعلموا لماذا يصنعون ما يصنعون »

قالت : « لا أدرى سوى أن كل الناس هنا ردوا عقارب الساعات وأرجعوها ساعة ... حساب الوقت بعد هذا الخط يتقدم ساعة »

قلت : « تعنين يتأخر »

قالت : « كلا ... بل يتقدم »

قلت : « لن نحل هذا الاشكال قط فيحسن أن نتركه ... ولننتقل إلى سواه فهل تعنين أننا كنا سائرين إلى الوراء ؟ . كنا نرتد فى الزمن ؟ »

قالت : « لا أدرى ... هكذا يقولون ... فأصلح الساعة وتعال إلى فوق فان الجو جميل »

قلت : « أفهمينى أولا كيف كنا نرجع القهقرى فى الزمن »

فلم تستطع أن تفهمنى — ولها العذر ، وكيف بالله تستطيع أن تفهم أنك تمشى إلى الوراء وأنت تمشى إلى الأمام ؟ — وأصررت أنا على ترك ساعتى كما هى ، وقلت لها : « إنك ولا مؤاخذة مثل مدرس الجغرافيا الانجليزى فى المدرسة الخديوية »

قالت : « ماله ؟ »

قلت : « كان يقول لنا ، لنفرض أنكم فى استراليا — ولا أدرى لماذا اختار استراليا ولكن هكذا كان يقول — وأنى أنا — يعنى نفسه — فى لندن ... فماذا يحدث ؟ ... فلا نعرف ما ذا يمكن أن يحدث ، فيقول ... اسمعوا فى يوم من الأيام ، وليكن الجمعة ، فأعترض وأقول : إن يوم الجمعة فيه ساعة ممنحوسة ، فيقول : حسن ، إذن ليكن اليوم يوم الأحد وليكن الوقت الصباح ... ولنفرض أيضاً أن المخاطبات التليفونية ممكنة بين استراليا ولندن فيدق لى أحدكم التليفون ويقول صباح الخير ... مفهوم ؟ ... فنقول جداً : فيسألنا ما ذا ينبغى أن أقول أنا فى رد التحية التى وجهها إلى من باستراليا ؟ فنقول له تقول صباح الخير ، أو عموا صباحاً يا أولاد كما تقول لنا هنا ، فيقول كلا ! ... فى هذا تخطئون لأننا فى لندن نكون فى ذلك الوقت فى مساء السبت بينما تكونون أنتم فى استراليا فى صباح الأحد ، فأنا أرد على تحيته بقولى له « عم مساء » فتقولون لى مستغربين كيف هذا ؟ ... إننا ما زلنا فى الصباح ، فأقول إن الوقت الآن فى لندن الثامنة مساء ، وقد تناولت عشائى منذ لحظة قصيرة ؛ فتقولون كلا ، بل الساعة الآن الخامسة صباحا ، ونحن لم نفطر فألتفت إلى الذين معى وأقول اسمعوا ... إن لفيفاً من تلاميذى فى استراليا استيقظوا — بصيغة الماضى من فضلكم — صباح غد فيسألنى اخوانى كيف يمكن أن يعرف ما عسى أن يفعلوا غداً صباحاً ؟ فأقول إنى أعرف ماعسى أن يفعلوا غدا صباحا لأنهم أنبأونى أنهم فعلوه فيقول إخوانى لى إنك مجنون — أو كلاماً آخر كهذا — لأنهم لا يستطيعون أن يتصوروا أن يكونوا هم فى الساعة الثامنة مساء من يوم السبت على حين يكون غيرهم فى نفس الوقت فى الساعة الخامسة صباحاً من يوم الأحد ، فنهز نحن التلاميذ رؤوسنا الصغيرة ونقول ، ولا نحن نفهم هذا ، فيقول المدرس اسمعوا ... لنفرض أن لى طيارة سريعة تقطع المسافة بين القاهرة واستراليا فى أربع ساعات أو خمس ... اركبها من القاهرة يوم السبت وأفطر فى استراليا صباح الأحد وأرجع إلى القاهرة مساء السبت — أرجع اليها قبل الوقت الذى غادرتها فيه — فما قولكم ؟ ... أليس هذا واضحاً ؟ ... فنضع أصابعنا فى الشق ، ونريح أنفسنا من العناء الباطل ، ونقول إن الأمر واضح جداً .

وأزيد أنا على هذا أن من الواضح من كلامك أن فى وسعك أن تقوم من القاهرة يوم السبت وتكون فى استراليا — أو حيث شئت غيرها — يوم الاثنين ، لا الأحد فقط ، ثم

ترجع إلى القاهرة يوم الجمعة ، الذى هو قبل السبت الذى سافرت فيه ... معلوم ! .. الأمر واضح جداً ! .. فيحسب المدرس أنى أسخر منه ، ويعاقبنى بالحبس ساعة ، آخر النهار .. هذا ياستى ما كان مدرسنا يعلمنا .. لقد ضاع علينا والله ما أنفقناه فى التعلم .. والآن بعد أن استرحنا من المدارس والمدرسين المخرفين نركب هذه الباخرة الجميلة ونحن نعتقد أن الدنيا بخير ، وأن العقول لم تطر من الرؤوس وإذا بهم يقولون لنا ردوا عقارب الساعات لأنا رجعنا ساعة ؟؟ والذى يدهشنى هو أن تصدقيهم

فتقول فتاتى : « ولكن هذا صحيح »

فأصيح بها - برغمى - : « كيف تقولين هذا الكلام ؟ .. هل تريدين منى أن أقول إن الساعة الرابعة حين تكون الخامسة ؟ . إنك تكلفينى شططاً »

فتقول : « لقد كسبنا ساعة »

فأقول : « أرجوك ! . أرجوك ! . »

فتقول : « صحيح والله »

فأقول : « يابنت الحلال كيف يمكن أن نكون قد كسبنا هذه الساعة وهى قد ولت ؟ . ثم إنى لم أكن معك فيها ، لأنى كنت نائماً فالخسارة مضاعفة »

فتضحك وتقول : « كسبناها لأنا استرجعناها »

فأقول : « إيه ؟ استرجعنا الساعة التى ولت ؟ . مدهش ! »

فتقول : « ألا تصدق ؟ »

فأقول : « يا حبيبتى ، يا روحى ، يا عقلى .. أرجوك ! . ألف راء جيم واو الخ الخ . »

فتضحك فأقول : اسمعى إنى لاأحب أن يبقى هذا الخلاف بيننا ، وأنا من أجل عينيك النجلاوين أفعل ما تريدين - لاعن اقتناع ، بل ارضاء لك - وأنا مستعد أن أقول إننا رجعنا إلى العام الماضى .. والله فكرة ! تعالى نرجع طفلين ونلعب .. »

فتذهب تعدو ضاحكة وأعدو وراءها حتى أدركها .

ابراهيم عبد القادر المازنى

خاتمة الأساة الأندلسية

الصراع الأخـــير

بين الموريسكيين واسبانيا

للأستاذ محمد عبد الله عنان

بينما كانت هـذه الحوادث والمعارك الدموية تضطرم فى هضاب الأندلس وسهولها وتحمل إليها أعلام الخراب والموت ، إذ وقع فى المعسكر الموريسكى حادث خطير هو مصرع محمد بن أمية ؛ وكان مصرعه نتيجة المؤامرة والخيانة ؛ وكانت عوامل الخلاف والحسد تحيط هذا العرش بسياج من الأهواء الخطرة ، وكان محمد بن أمية يثير بين مواطنيه بظرفه وفروسته ورقيق شمائله كثيرا من العطف ، ولـكنه كان يثير ببصرامته وبطشه الحقد فى نفوس نفر من ضباطه ؛ وتقص علينا الرواية القشتالية سيرة مقتله ، فتقول إنه كان ثمة ضابط من هؤلاء يدعى ديجو الجوازيل له عشيقة جسناء تسمى « زهره » فانتزعها محمد منه قسرا ، فحقد عليه ، وسعى لإهلاكه بمعاونة خليلته ، فزور على لسانه خطابا إلى القائد العام « ابن عبو » يحرضه على التخلص من المرتزقة الترك ، وكانت ثمة منهم فرقة فى المعسكر الموريسكى ، فعلم الترك بأمر الخطاب ، واقتحموا المعسكر إلى مقر محمد بن أمية . وقتلوه بالرغم من احتجاجه وتوكيد براءته ؛ واستقبل الجند الحادث بالسكون ؛ وفى الحال اختار الزعماء ملكا جديدا هو « ابن عبو » فتسمى بمولاى عبد الله محمد ، وأعلن ملكا على الأندلس بنفس الاحتفال المؤثر الذى وصفناه . وكان مولاى عبدالله أكثر فطنة وروية وتدبرا ، فحمل الجميع على احترامه ؛ واشتغل مدى حين بتنظيم الجيش واستقدم السلاح والذخيرة من ثغور المغرب ، واستطاع أن يجمع حوله جيشا مدربا قوامه زهاء عشرة آلاف بين مجاهد ومرتزق ومغامر

وفى أواخر اكتوبر سنة ١٥٦٩ سار مولاى عبد الله